الفصل الثاني
تطور الرأي العام
وفكرة الديمقراطية

مقدمة

لا يمكن تناول الرأي العام فى أي دراسة من الدراسات أو مجال من المجـــالات العلـوم الأنسانية دون توضيح العلاقة الحية والديناميكية بينه وبين مسيرة الديمقراطيـــة فـــى التـــاريخ الأنساني .

والديمقراطية هي نهج للحكم وليست نظام للحكم ، وهذا النهج يتركز علي دعامة مركزيـــة بدونها لا يمكن إدعاء وجود ديمقراطية ، هذه الدعامه حي حرية التعبير عن الأراء ، وهذا النهج (الديمقراطية) يقوم فى الدول الحديثة علي الأنتخابات الحرة والمؤسسات الثابتـــه والمســتقره وعلي تداول السلطة بين الاحزاب فى نظام تتعددي يكفل الحريـــة وتكـافوء الفـرص لجميـــع الأحزاب السياسية القائمة ، وحرية الاختيار لكل الناخبين ويقابلها علي النقيض النظام الشـــمولي الذي يتولي الحكام في ظله السلطه إما بحكم المولد أو الصدفه أو الثراء أو العنف أو التعيـــين . والديمقراطيه ليست نظام للحكم ، وانما هي نهج يتبع فى أطار نظام الحكم ، فـــهناك ملكيـات شموليه وأخرى ديمقراطيه ، كما أن هناك أنظمة حكم جمهورية شمولية أخرى ديمقراطية .

لكن الديمقراطية لا تتناسب بالطبع مع أنظمة الحكم العســكرية أو الديكتاتوريـــة الفرديـــة (صامويل هنتجنتون ١٩٩٣ ص : ٥) أن معيار مدي الديمقراطية فى الحكم هو مدي إمكانيـــة الـــراى العام داخل المجتمع التعبير عن نفسة بحرية تجاه السلطة والحكم ومؤسساتها بل يتحدون أيضـــاً بكيفية طريقة تكوين الرأى وتشكيلة العام فى مناخ من الحريه حتي يكون رأيـــاً عامـــاً قويـــاً صحيحاً معافي ، يؤثر ويعبر عن المجتمع والشعوب .

أذن الرأي العام والديمقراطيه وجهان لعملة واحدة ، لا يمكن قيام أحدهما دون الآخر وعند التأريخ لوجود الرأي العام ، فأننا فى الحقيقة نتناول تاريخ الديمقراطية فى هذا العالم .

فكرة الرأي العام في العالم القديم وأهميتها :-

أن الرأي العام كمصطلح لم يظهر في التاريخ إلا أثناء الثورة الفرنسية في القرن الثاني عشر عندما استخدمه وزير مالية الملك لويس الثالث عشر " جاك نكير " للتعبير عن الحكم في سلوك المستثمرين في بورصة باريس عندما كانت الدوله تتوجه للجماهير للحصول علي قروض وطنية (أحمد بدر ، مرجع سابق ، ص : ٣٢) فهل غفل التاريخ القديم وجود الرأي العام كما قدمنا تعريفة في الفصل السابق ؟

لقد المحنا الي إجابة هذا السؤال عندما قلنا أن تاريخ الديمقراطية في العالم هو نفسة تاريخ فكرة الرأي العام .

لذلك لم تخلو الحضارات القديمة من مفاهيم تتصل بالرأي العام ، فقد أدرك الانسان القديم مدي أهمية المساندة والرضا من الناس والعامة ، ولذلك أبتدع أساليب كثيرة للتأثير فيهم وتكوين الرضا والحصول علي هذه المساندة منهم ، وكلها محاولات للتأثير يمكن إدراجها تحت ما يسمي بالتأثير العقائدى ، مثل استخدامها (المحرمات – السحر) . في الزمن القديم كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية في النظام الإجتماعي والقائد في هذا النظام هو الكاهن صاحب الزعامة الدينية ، الذي يحاول دائماً إجتذاب العقول والأرواح نحو معتقد ديني أو نحو الإيمان بهم أمراً ناهياً ، ومفسراً للظواهر الطبيعية بالايحاء بأنه مسيطر عليها ومن ثم فعليهم الضوع له وصعوداً الي هذا التاريخ القديم تبينت الإنتماءات العقائدية للبشر بين الآلهه المتعدده في الحضارات القديمة ، وتأليه الملوك والحكام وتخبرنا الحضارات المندثرة بما أبقاه لنا التاريخ من آثار كيف إستخدمت اساليب التأثير المختلفة في شعوب هذه الحضارات ، فالعصور وزينتها والهياكل والمعابد والتماثيل ونماذج السعي لها وبعض نصوص القوانين والأمثال والحكم ، كل هذا يدلنا علي وسائل التأثير التى إستخدمها الملوك والكهان لأقناع الرعية بحقهم الإلهي وقواهم المقدسة وخير مثال علي ذلك الأساطير الكثيرة التى توارثناها عن القدماء ، والتى إستخدمت منذ قرون عديدة في تجنيد الجماهير ودفعهم الي نظام أو جهة معينة يريد أصحاب القوة والنفوذ وعلي سبيل المثال وجدنا أحكام الوصايا العشر وقوانين المانا الهندية والحكم الفرعونية ، وجميع نصوص الديانات القديمة والادعاءات الأجتماعية المتعدده وإنتساب حكم كثيرين في الماضي الي الالهه ، كل ذلك كان يتفق مع رغبات الفراعنة والقواد العسكريين والخطباء والكهان وأصحاب المصالح المختلفة في تلك المجتمعات البدائية ، فهذه المقدمات الكثيرة لم تكن إلا مجرد إجراءات اختيارية أو معاني لإقناع المحكومين بما يريده الحاكم .

مما سبق نستطيع أن نؤكد إنتفاء وجود رأي عام حقيقي ، وكذا وجود ديمقراطيه فى هـذه الأزمنه وكان وجود حكم عادل يتوقف بالمقام الأول علي الصفات الشخصية للحاكم ومدي إيمانه بوجود هذا العدل .

فكرة الرأي العام فى العصور اليونانية :-

(بداية الديمقراطية)

تتفق جميع المدارس الغربية التى قامت بتحليل بدايـات فكـرة الـرأي العـام وبدايـات الديمقراطية ، وكذلك بداية وجود الدعاية كوسيلة لتشكيل الأراء والأتجاهات وتجميعها لهدف مـا – علي أن البداية الواعية للتاريخ للدعاية ومحاولات تكوين رأي عام والتأثير فـي أثينـا منـذ حوالي ٥٠٠ عام ق.م (international encyclopaedia , 1968,p.30) حيث بدأ النشاط الخطابي يستخدم الحيل والتلاعب بالألفاظ والإيحاء بالنبرات الصوتيه وغستخدام اللغة الدينيـة والحجـج المنطقية وغير المنطقية في اقناع الجمهور والمحلفين فيما بعد بمشروعية وجهات نظر المحامين والخطباء والسياسيين واصحاب المبادىء التعليمية الإخلاقية مـن أمثـال سـقراط وأفلاطـون وأرسطو بل وزعماء الغوغاء ، حيث صنف هؤلاء المدرسون قواعد الخطابه الي ثلاث :-

١-إبتداع الحجج المنطقية لإقناع طلابهم .

٢-إعداد الدعاية المضادة فى وجهه الخصوم من أعدائهم .

٣-تعليم طلابهم كيف يكتشفون الاغاليط المنطقية ويستخدمون الاساليب الانفعالية لاقنـاع الاخرين وبصدقهم وقانونيتهم (المرجع السابق ، ص : ٣٨) ثقافة خاصة وصفات معينـة أهلته ليكون الشعب السياسي المشارك فعلياً للحكم .

فاذا قلنا أن الديمقراطية هي حكم الشعب فالمقصود هنا الشعب السياسي والأختلاف بيـن المعنيين واسع برغم الأقتراب الذي المحنا اليه فى عملية تكوين الرأي العام .

ولا يضيق هذا الاتساع (السياسي) إلا بإتساع حقوق الممارسة السياسية كالتصويب مثـلاً الي الدرجة التى جعلت فيها بعض الدول الحديثة مبدأ التصويب أو الإقتراع إجباريـاً وفرضـت الجزاءات علي من يتخلف عنه .(عبد الوهاب الكيالي ، ١٩٨٧) ص : ٢٣٦ وعودة الي العصر اليوناني وفكرة الرأي العام والديمقراطية فيها نقول أن اليونانيون وفلاسفتهم ومفكريهم فهموا " الشـعب " علي أنه المواطنون الأثينيون الذكور فيما بعد العشرين ، ومن ثم لم تأخذ الديمقراطيـه عندهـم معناها الحقيقي ، حيث لم تكن السلطه السياسية عند اليونان فى يد الأغلبية بل فى يد فئة محدودة لا تتجاوز ربع سكان المدينة علي أحسن الفروض (ثروت بدوى - النظم السياسـية ١٩٧٢ ، ص : ١٩٤)